



بدأت ثورة أهل الشام - حين بدأت - ببيضاء نقيةً لا إفراط فيها ولا تفريط، ترفع شعاراتٍ يتافق الفاسي والداعي على شرعيتها والانتصار لأهلهَا..

ثم ما فتئت أن لوثها الغلاة بشعاراتٍ لا قبل لأهل الشام بها، فسرى التنازع بين المجاهدين سريان النار في الهشيم، وأكلت الثورة بعض أبنائها، وارتدى الحراب في الصدور..

فكان أن وقف بعض الناصحين من هذه المحبة موقف العدل والإنصاف فنصحوا للأمة وردو زيف الغلاة وبينوا باطلهم وردوا شبهاهم وقاموا بواجب البيان والبلاغ..

وكان منهن أسمهم في استفحال أمر الغلاة وتطاير شررهم فثأّم من الذين لا يعلمون، لبسوا لبوس أهل العلم - وما هم منهم -، فكان منهم المتعلم، ومنهم الجاهل بالحكم الشرعي أو بتطبيقه على الواقع، وكان منهم من كتم علمه خوفاً على نفسه أو خوفاً من انفضاض الأتباع والطلاب من حوله، أو لهوى في نفسه.

***فأما المتعلمون:** فإن قضية الغلاة قضية علمية عقدية منهجية، والمشاهد أن كثيراً من يخوض فيها لم تعرف لهم سابقة علمٍ ولا رسوخٍ في العقيدة ولا فقهٍ في دين الله.

*{وَمِنْهُمْ أُمِيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}، ومع كل ذلك فقد لبسوا لباس الشرع يفتون لقادتهم بحل دم فلان وردة الفصيل الفلامي واستحلال ماله وسلاحه دون أثارٍ من علم أو حجةٍ أو دليل.

* **وَمِنْهُمُ الْمُتَقْبِلُونَ الْمُتَذَبِّلُونَ فِي شَأْنِ الْغَلَةِ**، كمن عمل بادي الرأي على التمكين للغلاة في القرى والمدن، فلما رأى جرائمهم بدأ ينكر عليهم ويحذر منهم، ولو أنهم بحثوا في جذور هذه الجماعات وسبروا تاريخها أو سألوا أهل العلم عن حقيقتها قبل تطاير شرها لما استفحلا أمرها ولا غدا تطهير بؤرها عسيراً على الصادقين.

* **وَطَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْعِلْمِ {قَدْ أَهَمَّهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظْنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَ الْجَاهِلِيَّةِ}** فلا يمنعهم من مواجهة الغلاة وتحذير الناس منهم إلا خوفهم على حياتهم وخشيتهم من غدر الغلاة بهم.

وقد استفحلا داء الخوف على كثيرٍ من أهل العلم حتى غدا المنكر على الغلاة غريباً كصالح في ثمود، ونسوا أن الله - المحيي المميت - قد أخذ عليهم العهد والميثاق **{الْتَّبَيِّنَةُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُنُونَهُ}** [آل عمران: 187].

قال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ}** [البقرة: 159].

* إخفاء الحق لكسب الأصوات:

وعلى الأعراف رجال يقفون في المنطقة الرمادية بين أهل السنة والغلاة، فيحاولون إمساك العصا من المنتصف، فتراهم يعلمون الحق ويكتمونه مجازةً للناس وسعياً في إرضائهم، أو لهوى في نفوسهم وسعياً في جمع أصوات الناس على بعض المشاريع الخاصة، فيحاولون الظهور بمظهر الحياد، ويختبئون خلف عموميات الإصلاح وحقن الدماء وتوحيد الصفوف، ويقولون: لسنا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء!! ويحاولون إنهاء الأزمة على قاعدة: "أحبوا بعضكم" و"كل واحد يصلح سيارته"!! وهو حياد سلبي قاتل لو كان يعلمون، حياد بين الضحية والجلاد، بين الظالم والمظلوم، بين من يسعى لينفذ ما تبقى من هذه الثورة ومن يواصل الليل بالنهار ليهدمها ويظهرها بأيشع صورة.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من علم لا ينفع، وقال تعالى: **[وَلَا تَشْتُرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاهُ فَاتَّقُونَ (41) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُّوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ]** [البقرة: 42]. فهو ثمن قليل زهيدٌ رخيصٌ مهما زين الشيطان منافعه ومصالحه ومكاسبه.

وقد صنف أبو بكر الآجري مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم، فوصف فيه عالم السوء بأوصاف كثيرة منها قوله: "وقد فتنه حب الدنيا: الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا، يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحلية الحسناء للدنيا ...".

* **وَمِنْ أَسْهَمِهِمْ فِي انتشار سُمومِ الْغَلَةِ**: شرعيو بعض الفسائل الذين ليس لهم من الأمر شيء، ممن يسيرون خلف ركاب قادتهم، فتراهم - إن كان قرار قائد الفصيل عدم قتال الغلاة - يبحثون في النصوص التي تتحدث عن حرمة دماء المسلمين وأن قتالهم فتن، وكأن النصوص التي وصفت الخوارج وحذرت منهم وأمرت بقتالهم إنما جاءت في أهل الكتاب!!

* **وَأَخِيرًا فَإِنْ مِنْ كَبَارِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ قَوْمٌ مَا فَتَأْتُوا يَكِيلُونَ الْمَدْحَ لِلْغَلَةِ**، ويصفونهم بصفات التعظيم والتجليل، فيُلِّسُونَ على الناس باطلهم ويسوقون للذين لا يعلمون أمثالهم.

فأعرض عن كل هؤلاء وتمثل قوله تعالى: **{إِنَّمَا جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [الجاثية: 18].

وقوله تعالى: **{فَلْمَنِعْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [الزمر: 9].

المصادر: